



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - SAHAR
Date : 31-8-95
Photo No. : 206

الشر المطلق والشر النسبي

يصعب على المرء، عندما يكون مدعواً بقوة، كما كل سنة في مثل هذا اليوم، الى استعادة ذكرى الامام موسى الصدر، ألا يتذكر مقولته الشهيرة في اسرائيل باعتبارها "شراً مطلقاً". فهذه العبارة تكاد تختزل صورة الامام بالنسبة الى الجمهور العريض من المؤيدين (ولم يعد للامام سوى مؤيدين منذ غيابه)، ربما الى جانب جملة شهيرة اخرى مفادها ان "السلاح زينة الرجال"، وبمقدار اقل قوله في العيش المشترك انه "نعمة" وليس "نقمة".

انها مقولة لا يمكن الا تذكرها لانها ارسيت نمطاً معيناً من التحصين حيال اسرائيل وموضوع التعامل معها في وقت كان الجسم اللبناني، والجنوبي تحديداً، مهدداً بالاختراق، بل مخترقاً على اكثر من صعيد. وهي، وان لم تستطع منع التعامل مع اسرائيل، جعلته موضع تحريم وقلّصت تالياً خطر تفاقم الظاهرة في قطاع مهم من المجتمع اللبناني. اما وقد زال خطر الاختراق، في شكله السابق على الاقل، فلا بد من التساؤل لماذا تبقى مقولة "الشر المطلق" حاضرة بهذه القوة في الازمان كلما حضرت ذكرى الامام؟ قد يكون الجواب في ان هذا القول صار القاسم المشترك الوحيد بين الذين يتقاسمون اليوم تراث الغائب.

ليس المجال هنا للبحث في مدى صدقية التيارات التي تعلن انتماءها، كلياً أو جزئياً، الى فكر الامام الصدر، ولا تالياً امتحان "شريعتهما" الصدرية. فالاهم من ذلك هو الانطلاق من الاستخدام السائد لمقولة الامام والبحث في مدى تطابقه مع ما هو سائد على الارض في الموضوع اللبناني - الاسرائيلي. وفي هذا المجال، لا بد من الاشارة، ومن دون اي نية تشكيكية، الى ان تعامل احد تيارات المدرسة الصدرية، اي حركة "امل"، مع موضوع الاحتلال الاسرائيلي يتناقض مع الطابع "المطلق" للنشر الاسرائيلي المدان. وبتعبير ادق، فان تركيز حركة "امل" ورؤيسها على القرار ٤٢٥، وهو تشديد محمود لما لهذا القرار من اهمية دبلوماسية، ينم عن ولوج هذه الحركة منطوق "النسبية". لا غضاظة في ذلك، فما هو معروف عن الامام الصدر يدفع الى الاعتقاد انه ما كان ليلج طريقاً آخر.

بيد ان اختيار "النسبية" في بلورة الموقف السياسي والديبلوماسي لا يستقيم اذا بقي الخطاب المتداول من اللون المطلق، وان يكن الابقاء على هذه البلاغة مفيداً في سياق المزايدات مع تيار آخر ينتمي جزئياً الى الصدرية، اي حزب الله.

ويزيد من حدة هذا التناقض ان الافق الديبلوماسي في المنطقة يدفع باطراد في اتجاه المزيد من النسبية. وبهذا المعنى، لا بد من توجيه سؤال دقيق الى حركة "امل" حول طريقة ملاءمتها بين الوفاء الصدري وضرورات المرحلة المقبلة بعد التسوية. اذ كيف سيجوز توقيع اتفاق سلام مع اسرائيل، طبعاً بعد الاتفاق السوري - الاسرائيلي، اذا بقيت اسرائيل "شراً مطلقاً".

ليس تخصيص حركة "امل" بهذا السؤال من باب الاساءة. انما الدافع الى طرحه هو كون هذه الحركة اليوم من الشركاء الاساسيين في الصيغة اللبنانية. وعليه، فانها مطالبة ببلورة وعي دقيق لكل الملفات الشائكة. فكيف اذا كان الملف هو ملفها بامتياز؟

سمير قصير